السبيحة

مجموعة قصصية

السبيحة
مجموعة قصصية

بوقفة رؤوف

المؤلف : رؤوف بوقفة

dvd4arab.com

مجموعـة قصصـية متنوعـة فيهـا الحاضـر والماضـي

، الواقــع والخيــال المغــامرة والرومانســية والإثــارة والعنــف

ارجوا ان تستمتعوا مع قراءتها كما استمتعت في كتابتها

بوقفة رؤوف

obeikandl.com

القصة الأولى : الكروش

الكروش هو قرية أو هو القرية ...اسم غريب لا أدري مقـــدار غرابته لكنـــه يبقى مـــع ذلك غريب ،غرابة سكانه ...

في الكروش امتزج البؤس مع الأمل والفقر مع السعادة والتعاسة مع الهناء معادلة غريبة أو تركيبة عجيبة لم تجتمع عناصرها إلا في الكروش ...

بيوت قصديرية مجاورة لبيوت عادية ،مخبزة ،دكاكين مقهى ،ثكنة ،مسجد ،حلاق ...

خمسة عشر سنة وأنا أقيم في بيت من صفائح القصدير ،تزوجت فيه وأنجبت فيـــه ونمى أولادي فيـــه و أيقنت أني سأموت فيه من كثرت الوعود بالرحيل والإقامة في بيت يصلـــح للإقامة البشرية.

لا يعني هذا أني أهين سكان البيوت القصديرية فأنا واحد منهم ،لكن إذا جاء الصيف يتحـــول البيت إلى فرن حتى لا اتهم بالمبالغة فأقول جحيم حقيقة يتحـــول إلى فـــرن بشري ، لا يهـــم أستطيع الاحتمال لكن الأطفال الصغار والرضع والعجائز هل يطيقون ذلك ...؟

البعض من سكان البيوت القصديرية أقسم أن الله لن يدخله النار لأنه ذاقها في الدنيا ،لا أناقش قيمة كلامه من الناحية الدينية لكن أكيد هناك أسباب دفعته لقول هذا الكلام ،أسباب لا يقدرها إلا القليل وكما يقول المثل الشعبي :" ما يحس بالجمرة إلا لعافسها " وليس الذي يده في الماء كالذي يده في النار.

لا يوجد أنبوب ماء ولا غاز ولا كهرباء ،فالبيت القصديري بيت غير قانوني لذلك فلا وجود له إلا على أرض الواقع ،أشتري الماء و قارورات الغاز وأشتري الكهرباء نعم لا تتعجـــب حتى الكهرباء أشتريها ...

عند حلول فصل الشتاء وحلول العواصف والأنواء يحل معهم الشقاء ونصبح بحق بؤساء ،فإذا جاء ريح قوي طار سقف المنزل أو جزء منه وإذا نزل المطر أصبحت أرضية البيت بركـــة ماء ...

معاناة لا تستطيع حفنة من الأسطر أن تلم بتفاصيلها ،لكن مع ذلك أحاول أن أحمل الكلمات ما تطيق وما لا تطيق كما احتملنا نحن ما لا نطيق ومع ذلك صبرنا ولازلنا لأنه لا حل لنا غير الصبر ولا حل إلا الصبر...

بعد العسر يسر، بعد العسر يسر ،الصابر ينال ،فرجت ،فرجت انهم يبنون في عمارات جانب الحي القصديري، انهم يحفرون في الأساسات ،الكبار قبل الصغار في موقع الأشغال ...

لا حديث في الكروش إلا على عملية البناء،يتبعون خطوات البناء خطوة خطوة ،لقد صبوا الأساسات بدؤوا يبنون في الجدران ،لقد اكتملت عمارة عمارتان ثلاث ...انهم يقومون باللمسات الأخيرة ،لكن العملية على أرض الكروش كانت بطيئة عكس الكلمات السلسة السريعة ،بطيئة جدا انه بناء سلحفاتي وليت صلابته بصلابة قوقعة السلحفاة لكن رغم هذا لم يمل شبه البشر من التتبع والارتقاب والانتظار.

لقد اكتمل البناء ،سوف أسكن هنا وأنا هنا ،لا هذه لي صراعات أطفال لكن حق لهم ذلك فسنوات من الانتظار جعلتهم اكثر من ذلك.

انهم متلهفون ،ينتظرون بشوق مفاتيح السكنات ،بعد أن شكلوا الكثير من اللجنات وبعد أن طرقوا جميع الأبواب وبعثوا بالرسائل لجميع الهيئات ومختلف درجات السلطات

الأسبوع القادم سنرحل إلى السكنات الجديدة الكل يبحث عن صناديق أو علب الكرتون الكبيرة الفارغة حتى يعبء فيها حاجياتهم استعدادا للرحيل ويمضي أسبوع ولا رحيل ويحل الأسبوع الذي يليه ولا رحيل والذي بعده ثم بعده ثم بعده ولا رحيل ...

ويعيدون إخراج حاجياتهم والانتظار وتبدأ الإشاعات في دورة جديدة ودورتها القديمة لم تكتمل بعد وتكثر الأقاويل والتحليلات والآراء.

كل سكان الكروش منظرين ومحللين استراتيجيين وكل واحد منهم يعلم ما لا يعلمه غيره وكل واحد منهم عنده الحقيقة كل الحقيقة وكل واحد منهم يعلم ما وراء الستار وما يجري في الكواليس وكل واحد منهم قريب جدا لمصدر القرار و لا واحد منهم قدم حلا إلا التنديد والاستنكار فيما بينهم فقط.

فرجت هذه المرة الأسبوع القادم سنرحل وتبدأ الأيام تمر ببطء شديد كم مازال لنهاية الأسبوع ثلاثة أيام ،ياه لحد الآن لم ينته ما أطول هذا الأسبوع ،يحسبون الأسبوع بالثواني حتى يرحلوا وهم الذين لا تهمهم الأيام من قبل لأنها واحدة لا جديد معها ويأتي الأسبوع الذي بعده والذي بعده ولا جديد.

كم من حملة انتخابية مرت وهم يقفون مرة مع هذا الذي وعدهم في حالة فوزه أن يمنح لهم السكنات ويفوز و لا تمنح السكنات ثم يقفون مع ذلك بعد أن تعهد لهم وأقسم بأغلظ الإيمان بأنه سوف يخرجهم من القبور إلى النور وينجح بعد أن وقفوا معه وساندوه بالنفس والنفيس ولا جديد وتمضي العهدة الانتخابية وتليها عهدات ولا جديد القرار ليس بيد رئيس المجلس الشعبي البلدي فهو مغلوب على أمره بعد أن نجح وضمن العهدة انه بيد الوالي وهذا يبرء ذمته والأخر يتبرأ من أي وعود وهكذا دواليك ولا جديد.

السكنات جاهزة والقائمة جاهزة والسكان جاهزون منذ زمن بعيد فلماذا ننتظر ؟

ننتظر قرارات الإسكان ،وإذا بقت القرارات سنوات هل نبقى سنوات ننتظر؟

- ما الحل ؟

الحل الاقتحام نقتحم مساكننا ونسكنها ،وهم فليستخرجوا المقررات على أقل من مهلهم فلا أحد يستعجلهم المهم أن نسكن

ولا أدري كيف ؟المهم حصل موقف مشرف لأول مرة في تاريخ الكروش القديم والحديث هذا إذا كان للكروش تاريخ أصلا

لأول مرة يثور سكان الكروش بعد أن فطموا أنفسهم عن الصبر وقالوا بأعلى صوت لا داخل أنفسهم كما اعتادوا :" للصبر حدود " واقتحموا السكنات

لكن الحق والحق يقال ليس كلهم كانوا أبطال منهم من خاف وبقى في بيته القصديري يترقب وينتظر ولم يندفع ليس عن تعقل أو حكمة وتبصر بل جبن وخوف وانهزامية نفس قال : سوف تآكلنا كلاب الدرك كما فعلوا مع الذين اقتحموا الحي الفلاني ومع الذين اقتحموا سكنات الحي العلاني

وفشلت جهود من حاولوا إقناعه بأنهم ليسوا مثل غيرهم فهم لديهم القائمة ويعرف كل واحد منهم مسكنه أكثر من معرفته بأولاده ولديهم المفاتيح تنقصهم المقررات فقط أرادوا أن يكونوا صفا واحدا لكن سنة الكون لكل صف بعض الخوالف مهما تعددت أسبابهم

ومر يوم وهم في سكناتهم الجديدة ينتظرون ويترقبون بعد أن قطعوا الطريق السريع كذا من مرة كوسيلة للتعبير عن السخط واحتجاج من كثرة الانتظار

ولم يأت الدرك و لا كلابهم المدربة ومضي يوم ثاني وثالث ولا درك ولا كلاب

الحملة الرئاسية في أوجها لذلك لم تشأ الإدارة إثارة المشاكل فهناك حديث آخر ولغة أخرى مع سكان الكروش لكن بعد الحملة ...

سكان الكروش لعبوا في الوقت بدل الضائع وساندوا بالنفس والنفيس مرشح السلطة ،صوره في كل جدران وحائط من سكناتهم المقتحمة لا أدري اقتناعا به أم أن أهل الكروش فقهوا السياسة ؟؟

وانتهت الحملة ولا حديث آخر والتحق المتخلفون عن القافلة بالقافلة وأعلنوا توبتهم لكن بقى خوفهم من كلاب الدرك وصمة عار ونكتة يضحك بها في محافل الكروش

لا كهرباء في الحي الجديد ننتظر الإدارة لتدخل الكهرباء لبيوتنا إذن ننتظر ربع قرن أو أزيد

الحل تسأل عن الحل ؟ الحل سهل وبسيط نستعير خيط كهرباء من عمود الكهرباء

- عمود كهرباء عمومي يأخذ منه حي بأكمله الكهرباء ،هذه سرقة جماعية منظمة مع سبق الإصرار والترصد

وانتفض في وجهي صارخا والشرر يتطاير من عينيه المحمرتان وذرات ريقه تطاير من فمه :والذين يسرقون الوطن من قبل استقلاله لليوم لماذا لا تنظر لهم وتحاسبهم؟

لقد حرمونا من مرافق عدة من حق السكن ومن حق العمل ومن حق الزواج باختصار من حق الحياة فسواء درست أم لم تدرس لا يوجد عمل وان وجد شبه عمل بعد أن تقارب سن الشيخوخة هذا إن لم تشخ وأنت في عز الشباب أو لم تنحرف تبرما من الوضع فانه لا يفتح لك بيت ،المال الذي أخذوه واصبح أرصدة سرية في بنوك أجنبية وشقق فاخرة على شواطئ الدول الغربية وأبنائهم الذين يدرسون في أحسن الجامعات العالمية ويصبحون بعد التخرج إطارات سامية في الدولة إن لم يكونوا هم الدولة أليست هذه سرقة أعميت عن رؤية الخشبة في عينهم ورأيت القشة في عيني ؟؟

خيط الكهرباء حقي وحق أولادي فنحن من هذا البلد ولنا مالهم من حقوق أم لهم الحقوق فقط وعلينا الواجبات ثم نزيد نتطوع بعدها ونتبرع ونتضامن مع دولتنا الغنية لهم والفقيرة أمامنا

- هدئ من روعك زلة لسان لا اقصد ما فهمت لنعود لحديثنا وماذا يوجد في الكروش أيضا ؟

لقد هدأ بعد أن اخرج تلك الحمم من قلبه كأنه لسنوات وهي تتراكم ولم تجد متنفسا تخرج منه إلا سؤالي الاستفزازي ورجع للحديث عن الكروش بتناغم عاطفي كأن نسيج حميمي كان هو خيطه والكروش خيطه الثاني غير عابئا بكل ما يحيط به مطلقا العنان لوجدانه ويقول :

في وسط كل حي يوجد ملعب أو معظم الأحياء يوجد ملعب أو حديقة أو نصب تذكاري أو نافورة ماء وان لم يوجد ماء أما الكروش في وسطه فتوجد مزبلة وقناة صرف للفضلات

هي في حقيقة الأمر مجرى صغير وليس قناة يشبه المكان مسبح بلدي عند رؤية معظم أطفال الكروش يلعبون فيه ويقضون فيه جل وقتهم في الصيف أو الشتاء والعجيب بل الغريب أنه لم يشتكي منهم أحد من مرض من الأمراض التي تنتشر بفعل هذه القاذورات والفضلات بل أصبحت لهم حصانة غريبة تستحق بجد دراسة علمية عالمية لا أقول هذا الكلام للتهكم أو الاستهزاء أو السخرية بل هكذا رأت عيني وهكذا سمعت أذني

أحد هؤلاء الصغار عضه جرذ بحجم هر كبير في المزبلة الشبه العمومية ولم يتحرك أهله لأنهم اعتبروا الأمر عادي ،لكن أحد المثقفين المتعلمين اقشعر لهذا الحادث وحمل الطفل للمستشفى وبعد الفحوصات وجدوا أن الطفل سليم معافى صحته جيدة ولم يصب بأدنى أذى وعند عودته مع الطفل وجد أن الجرذ الذي عضه مات ،نعم لقد مات الجرذ بتسمم نتيجة عضته لذلك الطفل ،لم يصدق مثقفنا هول ما رأى فذهب هرعا لمنزل الطفل ولما حكى القصة لأهل الطفل اعتبروا الأمر عادي ولم تظهر عليهم ملامح التعجب أو الاستغراب وكشفوا له انهم في بيتهم القصديري المتواضع مع كل طفل ينام جرذه الخاص فهي حيوانات أليفة سالمة منزلية

لا تحاول أن تفهمني أن هذه القصة حقيقية قل لي أنها من نسيج خيالك

لا أقول لك إلا شيء واحد : أحيانا الحقيقة اغرب من الخيال وهذا هو الكروش

الشيء الملفت للانتباه في الكروش أن معظم بناته الصغار متحجبات قبل الكبار منهن رغم أن أكثرية آبائهم ليسوا من الاخوة ونقيض ذلك معظم أطفالهم الذكور أشرار – ليسوا أشرار بأتم معنى الكلمة – لكن موقف أحدهم قد يترجم ما أريد أن أعبر عنه لقد قام بتجميع ثلاثين قط نعم ثلاثون قط متشرد أو ضال في الكروش ووضعهم جميعا في برميل قديم من حديد في المزبلة الشبه العمومية وافرغ عليهم البنزين وقام بإشعالهم ،حفلة شواء كبيرة

- بل قل هي مجزرة وجريمة ضد الحياة لا تغتفر ،تقشعر منها الأبدان وتتلعثم منها الألسن وترتجف منها الأفئدة

- ومعاناة ربع قرن في بيوت قصدرية لا تصلح حتى أن تكون قن دجاج أليست جريمة إنسانية؟

أنا لست من أعداء القطط ولم يفرحني هذا العمل إن كان حقا قد وقع لكن أعيد القول مهما وصفت المعاناة

فلا يشعر بها إلا من تجرع منها عمره كله ،أما أصحاب الشقق والطرق المعبدة فربما في أقصى حالات تفاعلهم مع هذه المأساة سوف يحركون رؤوسهم ويبرزون شفتهم السفلة ويقولون بصوت منخفض " مكتوب "

- ما الحل ؟

- لا انتظر من هذا الطرح حلا وهم كذلك لم ينتظروا ،أعرف السخط لا يأتي بنتيجة كل واحد منا رضى بما قسم له ،هو يسعى لما هو أفضل لكن لا يتبرم مما هو فيه

- لماذا لا تجعل من الكروش رواية انه موضوع واقعي جدير بالكتابة .

- لا أخفيك القول فكرت في ذلك مرارا ،لكن أريد من الرواية أن تكون متنوعة تنوع الحياة ،فيها الماضي والحاضر والمستقبل ،فيها الحقيقة والخيال ،الواقع والحلم ،فيها النثر والشعر ،المثل والحكمة ،فيها الفلسفة والرياضيات والعلوم والفيزياء والتاريخ والأدب ،فيها الناس والحيوانات والطبيعة بمختصر العبارة تكون الرواية جزء من الحياة أن لم نقل هي الحياة وفي النفس الوقت لا أكون أنا عبارة عن وسيط أو ناقل أمين بين الحياة والرواية ،أريد أن أساهم في صناعة الحياة عن طريق الرواية

- كلام جميل ،رغم أني لم أهضم جميع محتواه ومع هذا تبدوا فكرة جيدة تستحق التجربة لكن لا تنسى قاعدة ثمينة علمتها لي الحياة ممكن أن تكون محور روايتك أو تكون هي السياج الحامي لحدودها أو الطريق الموصل لها :" ليس كل عمل قيم ناجح وليس كل عمل ناجح يعني أنه قيم "

- واقع مر لكن مع ذلك يجب علينا أن نستسيغه .

obeikandl.com

القصة الثانية : الرحلة الأخيرة

حشد معتبر من الإعلاميين وسط قاعة الندوات في اعرق فندق بمدينة بليموث البريطانية ، الجميع ينتظرالندوة التي يقدمها حميد عياشي الليبي الأصل البريطاني الجنسية ،اقدم معتقل في غواتنمو،والمفروض أن الندوة أقيمت قبل أسبوعين كما هو مسطر لها مع محاميه ،لكن للأسباب أرجأ الكشف عنها لاحقا أجلت الندوة ، قيل أنه سافر للجزائر للتأكد من بعض الأمور ولإيصال رسالة ،يكشف عن محتواها اليوم...

بسم الله الرحمان الرحيم ، السادة الحضور ، زملائي الإعلاميين ، أعلم أن الجميع متشوق لسماع قصتي ،لكن لست هنا اليوم لأزيل اللبس عن العلاقة التي ربطتني بتنظيم القاعدة وادعاء مكتب التحقيقات الأمريكية بكوني المسؤول الإعلامي في التنظيم وأن عملي كمحرر في جريدة الحياة اللندنية ما هو إلا غطاء ،فهذه القصة على تشابك أحداثها ليست بغرابة الحقيقة التي سوف أكشفها على مسامعكم كما سمعتها من عند صاحبها كمال الجزائري واعذروني فلن افصح عن لقبه في الوقت الحاضر احتراما لرغبة عائلته .

كمال من مواليد 1976 والقاطن بغار الطين بمرسط إحدى دوائر ولاية تبسة ،كمال من أسرة بسيطة بساطة أهل الشرق الجزائري ومتواضعة تواضعهم ، زاول دراسته بجد وفي عطلة الصيف كان يعتمد على نفسه لتحصيل مصروفه اليومي ،فتجده يجوب الشوارع مناديا : " النبق ، النبق ..."

وهو ثمر شجرة السدر ،ثم بعدما كبر بدل نشاطه الموسمي لبيع ثمرة التين الشوكي وهو ما يعرف هناك بالعامية بالهندي ،أما في أيام رمضان فيبيع الملصوقة أو أوراق البوراك ...

نجح كمال واكمل دراسته الجامعية وتخرج مهندس في الهندسة المدنية وكغيره من خريجي الجامعات لم يتمكن من الظفر بوظيفة رغم كثرة الطلبات التي قدمها ،استغل البطالة الإجبارية في حفظ القرآن الكريم في زاوية سيدي عبد الله وقرر مباشرة مشروع تجاري تمثل في طاولة سجائر صغيرة لكنها غير مربحة لأن الشوارع كلها مليئة بطاولات السجائر حتى علق أحدهم (أن عدد باعة السجائر أكثر من عدد مستهليكها)

كمال إنسان طموح وهو يريد رأسمال حتى ينطلق في تجارته لكن من عساه يقرض إنسان بطّال ...

مدينة مرسط زاخرة بالآثار الرومانية المطمورة ،وقد ازدهرت فيها تجارة البحث والتنقيب عن هذه الآثار وبيعها في السوق السوداء لمهربي الآثار ،كمال أصبح لا يرى إلا نادرا في المدينة فمعظم الوقت يمضيه في الهناشير والجبال المحيطة بمرسط باحثا ومنقبا عن نقود قديمة أو تمثال صغير كامل أو مبتور ، إنها موجودة في الخلاء ليس ملك لأحد أصحابها ماتوا منذ الآلاف السنيين فهي ملك لمن يبحث

عنها في جد ،إذن ملك لي أنا ،هكذا برر كمال فعلته ، وقد تكلل بحثه باكتشاف بعض الآثار وقد ساعده في ذلك سيل جارف نتيجة لأمطار غزيرة سقطت على المدينة فانهار ردم جبلي كاشفا على مغارة حجرية ، باع كمال محتوياتها بمبلغ كبير جدا ...

انتشر الحديث في مقاهي المدينة عن عثور سي كمال عن كنز كبير ، بعد سماع الخبر أضيفت لفظة "سي " إلى اسمه وهي تصغير لكلمة سيدي ...

أصبح الدرك الوطني يتابع حركاته عن كثب ، عيون تترصده في كل مكان خاصة حين يستقل الحافلة المتجهة إلى تبسة التي تفتش تفتيش دقيق في الحواجز الأمنية ...

كثر الحديث عن كنز قيم وجده في مقبرة عائلية قيل أنها تعود لحاكم المقاطعة وزوجته وابنتيه وكلب لهم ومخطوطات ،قيل أنه أخذ أواني ذهبية وفضية وحلى الزوجة والبنتين وتاج مرصع وعصا ذهبية تعود للحاكم و أعاد دفن الهياكل العظمية في توابيتها الحجرية كما وجدها بل ووارى عنها حتى لا يعرف مكانها ...

لقد القي القبض على المدعو الباباي وهو الوسيط الذي يشتري منه الآثار وقيل أنه وكيل رجل يهودي مكلف بسوق كل من ولاية تبسة وولاية سوق أهراس الأثريتين .

المسألة مسألة ساعات ويداهم منزلي ويقبض علي ، لا حل لي سوى الهجرة السرية فهو غير مستعد لخسارة ثروته وسنين شبابه التي سيلتهمها السجن على جنايته ، اتجه فورا الى مدينة عنابة ، هناك دلوه على السيد : نورس ملك البحر يملك قارب صيد تحصل عليه في إطار دعم الشباب لأجل حرفة الصيد فحوله إلى نقل الحراقين ، النورس صاحب قرعة لا يفارق الخمر ولا الخمر يفارقه علاقته به كعلاقة رضيع بثدي أمه مهما امتص الحليب فلن يرتوي وان ارتوى برهة عاد في بكاء طالبا المزيد ...

اكتمل العدد وانطلق القارب ذو المحرك من شاطيء " لابي واست " الجبلي متجهين الى جزيرة سردينيا الايطالية على الساعة الثانية صباحا محملا بكمال وفاروق السطايفي ورشيد السكيكدي وعمار وجمال من الطارف بقيادة النورس المخمور ...

النورس منتشي فقد قبض مبلغ كبير على كل رأس ، النورس خبير بحر يعرف المسالك البحرية ويحفظ الاتجاهات دون بوصلة وقد قام بعمليتين ناجحتين ...

أصوات ركاب القارب تتخافت بالدعاء : " يارب سهل " " يارب فرج" "يارب استرنا" " يارب نوب علينا ..."، يتخللها صوت النورس متمتما مقطع من أغنية قيل أنها للشاب خلاص :" نشرب الروج ولا العباد العوج ..."ثم ينفجر ضاحكا مخاطبا الجميع :" تعرفوا ربي غير وقت الرعد ..."

سطع ضوء باهر فجأة ، أغمض الجميع عيونهم من شدته ظن النورس أنه البرق لما تحدث عن الرعد ، انه صوت محرك مركب كبير ، الضوء مسلط عليهم وصوت يأمرهم بالتوقف واطفأ المحرك من مكبر

الصوت ...

انه مركب مسلح قال كمال ،أجاب فاروق حراس السواحل اعتقد ،قطعه النورس لقد خرجنا من المياه الإقليمية للبلاد نحن في المياه الدولية ...

علا صوت المكبر من جديد : ارفعوا أيديكم للسماء ولا تقوموا بأي حركة انتم لا تتمتعون بأي حماية قانونية ،نفذوا التعليمات بدقة حفاظا على حياتكم

تسمر الجميع في مكانهم ورمي بسلم مفتول من الحبال ، برز ثلاثة جنود يرتدون زي مشاة البحرية الأمريكية ،يتكلم أحدهم العربية بطلاقة ،بعد التفتيش الدقيق وعند عدم عثورهم على أي وثيقة هوية بحوزتنا استجوبونا ،أخبرناهم أننا قدمنا من الجزائر قيدونا بالأغلال في أيدينا و أرجلنا ليعتقلوننا باعتبارنا مهاجرين سريين ،انتفض النورس في وجوههم ، باعتبار أن إجراءات الاعتقال باطلة لأنها ليس من صلاحياتهم ولا ضمن اختصاصهم الإقليمي ...حتى خيل لي أن النورس اشتغل من قبل محاميا ، نظر الجنود الثلاثة إلى بعضهم البعض ثم نظروا إلى النورس ، اعتذر منه الذي يتحدث العربية ووضح له أن هذا الإجراء قانوني بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر الأسود وانه فور التأكد من هويتهم وعدم متابعتهم من طرف الولايات المتحدة يطلق سراحهم لأنه احتمال يكونوا من تنظيم القاعدة ، وطلب منه الرجوع إلى الجزائر باعتباره يملك بطاقة تعريفه الوطنية، صعدنا إلى المركب الحربي ، وبقى النورس في قاربه يردد : الله غالب يا جماعة ما عندي ما ندير على الأقل يرجع واحد معاه الخبر...

ورجع النورس بزورقه ، وبقى المركب الحربي لابث بمكانه ، ترى هل باعنا النورس لهم وهل العمليتين التي قال لنا في افتخار انه نجح في توصيلهم إلى سردينيا كان مصيرهما هو مصيرنا وقام أمامهم بنفس التمثيلية التي قام بها أمامنا ...

قطع عني حبل أفكاري صوت طلقة مدفعية من المركب الحربي ،اتجهت مباشرة لزورق النورس الذي تحول في أقل من ثواني لكتلة ملتهبة طفت لبرهة فوق البحر وقهقه جندي يقول لصديقه : كسبت الرهان لقد أصبته من أول طلقة ...

قبل أسبوعين أعلن الجيش اللبناني التعرف على جثتين من تنظيم فتح الإسلام وكانت لفاروق وعمار ، قيل أنهما تسللا إلى لبنان عبر سوريا ، أما رشيد فهو معتقل في سجن أبو غريب باعتباره الذراع الأيمن لأمير تنظيم قاعدة بلاد الرافدين كما أكد وفد الصليب الأحمر الدولي اعتمادا على وثائق حكومية ، أما جمال فقد شوهد في مركز لومباروزا وقد بيع بعدها كعمالة رخيصة لأحد المصانع المختصة في فرز واعادة تصنيع حديد الخردة مع حرمانه من حقوقه المدنية ومزايا قانون العمل الايطالي عثر بعدها على جثته منزوعة الأعضاء الداخلية وقد قيل أنها بيعت من طرف مافيا تجارة الأعضاء البشرية ، أما كمال

فهو الذي أخبرني بكل تفاصيل هذه القصة حين كان نزيلا معي في سجن غواتنمو قبل أن يرحل لصحراء النقب حيث يوجد مختبر ضخم للأسلحة البيولوجية والتعديلات الوراثية والاستنساخ والتلاعب بالجينات ، أين تجري عليهم تجارب وبعد الانتهاء منها يعلنوا عن انتحارهم ،ودون فخر كمال الجزائري هو الوحيد الذي تمكن من الفرار بنجاح من هذا الجحيم وهو الآن حي يرزق في مكان آمن .أعلم أن الجميع ينتظر تفاصيل اعتقاله في سجن غواتنمو وقصة التجارب اللإنسانية في الدولة العبرية وكيفية وصول أصحابه المحتجزين معه في نفس القارب الأمريكي إلى لبنان والعراق وإيطاليا ،لكن كل ما وسعي أن أقوله اليوم هو ترقبوا إجابة كل هذه الأسئلة في كتابي الذي شاركني في تأليفه كمال الجزائري وسينزل للأسواق الأسبوع القادم إن شاء الله...

في اليوم الذي يليه أعلن في وسائل الإعلام البريطانية نبأ انتحار حميد عياشي في ظروف غامضة مع تأكيد طبيبه الخاص أنه كان يعاني من اضطرابات نفسية زادت حدة الأيام القليلة الفائتة مما جعله يتخيل أشياء غير حقيقية من مطاردات والقصة التي رواها عن كمال هي الأخرى من نسج خياله المريض...

الغريب في الأمر اختفاء النسخة الوحيدة المكتوبة بخط يده وعنوانها : "الرحلة الأخيرة : حقائق أغرب من الخيال" المقرر أن يعلن عنه وشراء جميع النسخ المقرر أن تظهر في السوق من دار النشر مع إبقاء اسم المشتري مجهول لدواعي أمنية .

أصابع الاتهام وجهت للمخابرات الأمريكية و الموساد ، المخابرات البريطانية اعترضت رسالة مشفرة تؤكد اغتيال حميد عياشي من طرف مخابرات أجنبية مع تأكيدها أن الكتاب لم يكن بحوزته عند اقتحام إقامته ، شريط مراقبة الفندق الذي عطل قبل العملية يؤكد أن شخص خرج من الفندق قبل تنفيذ العملية بمدة وجيزة يحمل حافظة رجحت أنها النسخة الوحيدة للكتابة واغلب الظن أن ذلك الشخص هو كمال الجزائري ، المطلوب تصفيته بأي طريقة .

obeikandi.com

القصة الثالثة : رسالة من دم

مسلولة قرية كبيرة وجميلة ، تعتمد في كسب عيشها على محاصيل الأرض ، تبادل بها وتقايض كل ما ينقصها من ضروريات الحياة ، خضرواتها مشهورة في كافة أنحاء المعمورة ، تعرف بنضارتها وحجمها الكبير وطعمها الذيذ أما رائحتها فتميزها من بعيد ، وقد قيل أن السر في ذلك هو نبع الماء المعدني الذي تروى به الأراضي ، دون إغفال حب للأهالي لأرض وخدمتها بكل تفان وإخلاص ، فالأرض وان كانت جماد الا أنها تحب من يحبها ، ولا تبخل على من يداعب ترابها ويربت على بشرتها فتجود جود الأم على وليدها ، كيف لا وهي امه الأولى والإنسان كان في البدء طين قبل أن تنفخ فيه الروح ، فهو في الأصل جزء من الأرض وان قضى ردحا من الزمن فوقها ففي آخر المطاف يرجع اليها ،حين تفارقه الروح ، يرجع الجسد الذي خلق من تراب ليوضع وسط التراب ويغطى بالتراب ومع الوقت يلتحم هو والتراب ...

في مسلولة لا يوجد كبير الدوار ،فآخر كبير توفي منذ عقدين أو ثلاث ولم يوجد من يستخلفه لعدم توفر شروط الامارة فيه، فكبير الدوار يجب أن يتحلى بالوقار والهيبة والرزانة والدراية وأن يكون مسموع الكلمة ذو عقل رشيد ورأي سديد وأن يكون صاحب مال وجاه حتى لا تتأثر أحكامه أو يمارس ضغط عليه زيادة على معرفته لأحكام القضاء وعلم المواريث والحدود...

كان هذا الأمر محصور في عائلة سيدي علي الكبير التي قيل أنها من الأشراف ينتهي نسبها الى النبي عن طريق فاطمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم

وقد تولى أفرادها الوجاهة منذ قرون ، فأهل مسلولة من البربر وقد قيل أن أصل كلمة مسلولة مركبة من كلمتين بربرتين معناهما ابن لولة وقد كانت لولة سيدة قومها وكانت لها ابنة وحيدة تسمى بشطولة تزوجها حسين الشريف الذي فر من المشرق الى الأندلس وبعدها دخل الى المغرب الأوسط لينتهي به المطاف في مسلولة بعد رؤيا رآها

انتقلت الزعامة الى الحسين الشريف بعد وفاة لولة وتنازل بشطولة عن الزعامة لزوجها ، وعلى توالي القرون تناقصت القبيلة واصبحت محصورة في قرية حملت اسم زعيمتهم...

كان آخر كبيرة للقرية الشريف الصادق ، كان كريما لدرجة أن لا يخلو بيته من ضيف يوميا طيلة أيام السنة ،رزق بابنين أما ألاول فهو سيدي محمد الصغير، ذهب للحج وعمره تسع سنوات واستوطن بالمدينة واصبح مدرسا بالروضة الشريفة

أما الابن الثاني فيسمى سيدي ابراهيم وكان مثالا للعابد الزاهد والفارس المغوار الذي لا يجاريه فارس سمع بمحاصرة الفرنسيين لأحمد باي في قسنطينة ، فهبّ هو وبضعة شبان للجهاد وفي كل قرية أو

دوار أو مدينة يمر عليها الا ويلقي في جموع سكانها كلمة عن النصرة والاستغاثة واعانة الأخ والتصدي للعدو وعن فضل الجهاد ومكانته في الإسلام...

وقيل أنه أثناء أصبح لديه جيش كبير العدد نتيجة لكلامه المفعم بالآيات القرانية والأحاديث النبوية الشريفة ، لكن جيشه كان من البسطاء المتسلحين بالمذرة والهراوة والخناجر وبعض البنادق

وعند قرب وصولهم للحامية الفرنسية كسر صمتهم صوت طلقتين أو ثلاثة للمدافع

انسحب الكثير منهم بأعذار مضحكة وباكية فمن متظاهر بالمرض ومن مدّعي الجنون ومن رأى أن أباه توفى في المنام وأحلامه لا تخيب وغير ذلك كثير من حجج ضعاف النفوس

سيدي ابراهيم وثلة من ألأولين الذين عاهدوا الله على ألاّ تزول أقدامهم ولا تزيغ قلوبهم حتى تختلط دماؤهم بأرض قسنطينة الطاهرة

قسنطينة محاصرة والحامية الفرنسية مستقرة على تلة قريبة منها

حلّ المغرب ،أفطر سيدي ابراهيم على شربة ماء فاليوم الخميس وقد اعتاد منذ بلوغه سن العاشرة على صوم يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع فذلك أمر درج عليه كل من في البيت

بعد أن أمّ بمن معه وأتموا الصلاة ، أقاموا مجلس حرب ، وتقرر مباغتة العدو عن طريق الكر والفر لأنه يفوقهم عدة وعتاد والمواجهة المباشرة تعني رمي النفس الى التهلكة دون احراز أي نصر ميداني

يا الهي انهم خفافيش ، يظهرون في الليل ،يقضّون مضاجعنا ، يفتكون بمن قدروا عليه من جنودنا ويتسللون لواذا ....

هكذا أبرق الكلونييل سبستيانا الى قائد الحامية ، ورغم تشديد الحراسة في الليل وانارة كل المنطقة الا أن الضربات الموجعة مازالت تتوالى والشتاء على الأبواب

كعادته تسلل الى الخيمة في غفلة من العسس وسلّ خنجره ليقتل الجندي النائم ، لكن الغطاء انحصر على وجهه ، فوقف جامدا متسمرا ، انها امرأة

لو طلب من سيدي ابراهيم وصف وجه امرأة ، فانه على بلاغته وفصاحته يعجز، لأنه لم يحدث وأن تأمل وجه امراة قط حتى أمه أو أخواته وان لم يصرح بالسر من وراء ذلك ، وان فسرها من يعرفه بأنه الحياء ...

لقد تأملها مليا ،،لم يتأملها بعينيه فقط بل تأملها بقلبه ،.بفؤاده، بخلاياه وأوردته، بشراييه ودمه،بوجدانه وعواطفهوكيانه...

لقد تخدرت رجلاه ورفضت أمره بالانسحاب ، لم يستطع سحب رجلاه ليتراجع وينصرف، ترى هل هو ما كان يسمع عنه في قصائد الشعر من عشق وغرام وهيام وصبابة فيسخر منها وممن اكتوى بلظاها

انه لا يدري، كل الذي يدريه أن ملامح وجهها طبعت في عينيه كلما أغمضها

صوت خافت لكن كلمه واضح :

- أقتلها ، ألا ترى أنها ترتدي قلادة فيها المسيح مصلوب ، انها من خادمات الكنيسة، تعين الجنود وتقدم لهم الرعاية الصحية والمواساة والدعم المعنوي فهي كافرة تعين الكفار في حربهم على الاسلام ، أقتلها فمصيرها في الأخير النار .

- لكن جدي عليه أفضل صلاة وسلام لم يأمرنا بقتل النساء بل نهانا عن قتل النساء والأطفال والشيوخ وكل غير مسلح من الفلاحين والرعاة .....

وحلت الليلة التالية ، ورجع سيدي ابراهيم لنفس الخيمة ،وأزاح الغطاء قليلا على وجه الفتاة وبقى يتأمل مرددا لو لم تكوني كتابية ، لو لم تكوني كتابية

وتقلبت الفتاة في نومها فانكشف جزء من نحرها، صرخ سيدي ابراهيم دون دراية على سجيته :" استري روحك يا مخلوقة."

نهضت الفتاة في فزع ، التفتت نحو مصدر الصوت ، التقت عينيها في عينيه، لحظة صمت ،لم تحسب بزمن الثواني والدقائق ،بل احتسبت بوقت غير هذا الوقت وفي زمن يختلف عن هذا الزمن ، ثم انسحب مسرعا ...

لم تصرخ الفتاة ، قضت ما تبقى من الليل تفكر ، ترى ماذا يريد في خيمتي ؟

هل جاء ليقتلني ؟ لو كان الأمر كذلك لقتلني قبل أن استيقظ

هل جاء من أجل المتعة ؟ لكنه لم يحاول لمسي وأنا نائمة

هل جاء من أجل الأدوية ؟ ربما

لكن ما الكلام الذي في عينيه ولم يخبرني به ، ولم استطيع فهمه، هناك لغز، أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك وليتمجد ذكرك أحفظنا من كل شر ونجينا باسم ابنك يسوع ...

هذه هي الختمة الثالثة للقرآن الكريم اليوم ، لكنها لم تبرح خيالي و يا الهي جئت طالبا الشهادة في سبيلك ،فهل يكون مصيري سوء الخاتمة، يا رب لطفك يا رب سترك يا رب عفوك ...

وحلّ الليل ، في حذر شديد، تسلل الى الخيمة ، هدوء شديد على غير العادة، اقترب منها وهي نائمة ، مد يده المرتعشة وكشف الغطاء عن وجهها ، تأملها قليلا ، وبكى وهو يقول :يا حسرتي في الفتنة سقطت ، يا ويلتي ليتني كنت ترابا ، ثم انسحب

حين تأكدت من خروجه ، قامت فقد كانت تتظاهر بالنوم ، وقد تأكدت انه لم يكن يريد إيذائها ، تبعته في خفية ، حتى كشفت موقع اختبائه ،ستنال مكافئة عظيمة لما تبلغ عن هذا المخبأ

الذي عجز الضباط الأشاوس عن كشفه وتدميره ، وهي في لحظة واحدة فقط كشفته ، ياه ، يامريانا لقد ابتسمت لك الدنيا وستصبحين صاحبة أراضي زراعية وأطيان....

لكنه بكى من أجلك ، هل يعقل أن يكون هناك في الدنيا رجل يبكي من أجل امرأة ، هل يعقل أن يكون هناك رجل بمقدوره أن يكلك نفسه وهو يرى جميلة نائمة وقد انكشف بعض مفاتنها،ليساعدني الرب ،أي قرار أتخذ ، وجاءت الاشارة ، صوت المدفعية الفرنسية هزت المكان والقذيفة سقطت قرب مريانا وقد اصابتها الشظايا قي ساقها ،فسقطت صارخة من شدة الألم....

سوف يسمع الفرنسيون صراخها ويكتشفون أمرنا ، انها جاسوسة ترشدهم لمكاننا بصراخها ، سوف أقتلها...

انتفض سيدي ابراهيم لا الجزائريون لا يقتلون النساء تحمل على البغل لأقرب دوار ، هكذا تعالج وتبقى في مأمن ونجعل عليها حراسة حتى لا تفر ويكشف مكاننا ...

اسمي ماريانا

اسم جميل لكنه ثقيل على لساني ، ما رأيك لو أناديك مريم؟

على اسم والدة السيد المسيح؟

غير بعيد عن مجلسهما رجلين أو ثلاثة يتهامسون

لم أرى أجمل منها ، والله زين الروميات ما يشبه زين على حسب ما تشوف راح يديها، خسارة والله خسارة

واش تقول الرومية غنيمة حرب وراح يكون حكمها حكم الجارية

قول صحيح الرومية سبية حرب ، ملكنا جميع ...

تماثلت ماريانا أو ما اصبحت تعرف باسم مريم للشفاء ، أصبحت تنتظر في لهفة وشوق عودة سيدي ابراهيم من رباطه ليتفقدها ويتزود بالمئونة وليشرح لها أكثر عن رب المسلمين ورسولهم محمد لقد كنت اعتقد أن محمد سفاك دماء ،رجل خراب ودمار ونساء ما حسبته نبي رحمة وسلام كما تحكي لي الآن وكما رأيته في أفعالكم

هذه الصفات النبيلة ليست محصورة في محمد فقط ، بل موجودة في كل الأنبياء والرسل ونحن نِمن بهم جميعا من عيسى وموسى وابراهيم وداود وسليمان ويوسف

عيسى

نعم عيسى بالعربية ويسوع بلغتكم

لكن يسوع ابن الرب

يا مريم لماذا يحتاج الله لابن ؟ هل الله يموت

طبعا لا

اذا كان الله لا يموت فلماذا يحتاج لابن؟ أنا احتاج لابن حتى يرثني ويحمل اسمي حتى يكون امتداد لي من بعدي وحتى يكون عضدي ومعيني عند مرضي وهرمي ، فهل الله يمرض أو يهرم أو يموت حتى يحتاج لابن

طبعا لا ؟

الله حي لا يموت وقوي لا يضعف لا يؤثر فيه زمن ولا يتغير كامل قوي جبار عظيم

لكن السيد المسيح ولد من غير أب بشري وبالتالي فوالده يكون الرب

وخلق من قبل آدم من دون أب وأم فهل يعني هذا أنه أبوه وأمه، وخلق حواء من غير أم فهل يعني بالضرورة أنه أمها؟

في الكنيسة يمنع علينا ان نفكر في هذه الاسئلة ومن يتجرأ ويفكر فيها بصوت عال يتهم بالهرطقة

أرتاح للحديث اليك ، للتأمل في عينيك ،للتفكير فيك وانا معك والخوف عليك ،أشتاق اليك ،وأنا بعيد عنك،وأشتاق أكثر حين أكون قريب منك ، كلمات تعتصر فؤادي لكن تأبى أن تتجاوز حنجرتي حتى تصل اليك

لماذا هذا السكوت تكلم أنا استمع اليك اصغي اليك بروحي ووجداني وجسدي تكلم فالكلمات منك هواء لقلبي الذي ما عرف التنفس الا على يديك

مضت برهة وكل واحد منهما يتأمل الآخر ويحدثه في صمت عن ما يعانيه من لوعة

قطع مناجاة روحين صراخ أحد المجاهدين ،لقد سقطت قسنطينة

سقطت قسنطينة ،ومعظم المرابطين قتلتهم الخيالة الفرنسية

سحقا لهم لو لم يكونوا يملكون المدافع .....

ماذا نفعل بالمرأة الفرنسية؟ اقترح أن نقترع عليها،كل واحد منا تقضي عنده اسبوع ثم يهبها لمن يخرج اسمه في القرعة فهي سبية حرب

نعم، نعم أوفقك الرأي،هكذا تقسم الغنائم،خاصة هذا النوع من الغنائم

رأي سديد، ونعم الرأي

بل هو مكر مكرتموه بليل ، مريم ليست سبية ، بل حرة اعتقتها لإسلامها، هذا الذي يشغل بالكم فقط كيف تتمتعون بأنثى، مدن الجزائر تسقط تباعا مدينة وراء مدينة وأنتم تخططون كيف تكون قسمة امراة ،سحقا لكم سبية حرب والله نحن السبايا،سنصبح جميعنا أسرى حرب واراضينا وحيواناتنا غنائم حرب، مريم امراة حرة لها حرية الاختيار،اما أن تتزوج احدنا أو تذهب لحال سبيلها

ليس لك علينا من سلطان،فالأمر بيننا شورى وبالأغلبية يكون القرار

بدأ الليل يحل ،غدا نجري القرعة وان اردت ان لا تشارك فيها فذلك نعم الرأي

سنؤجل الحديث الى الغد،لكن وان اقتضى الأمر فالنزال دون أن يعبث عابث بشعرة واحدة من شعر مريم

من يستمع اليك يضن انها العذراء والله اعلم ماذا كانت تفعل كل تلك السنيين

اتق الله يا رجل ولا تقذف المحصنات

اتق الله انت ولا تتكلم على امرأة تتقلد الصليب وتدعي انها مسلمة ...

لا أملك القرطاس والدواة ، فكتبت اليك في قطعت قماش من لباسي ، اجمل قطعة حرير كانت هدية من والدي لكن مزقتها لتكون ورقة اكتب عليها كلامي ولم أجد مداد ،فجرحت نفسي واتخذت من دمي مداد لاكتب لك أني وحق الابن يسوع احببتك كل الحب وشاكرة لك كا قدمته لأجلي ، لا اسمح ان اكون كتلة لحم تنهشها كلاب قومك كما لم اسمح لكلاب بني ملتي بان ينهشوني ، وحتى لا تدخل في صراع مع قومك بسببي اثرت الانسحاب لكن وحق الرب ستضل محفورا في قلبي وعقلي حتى تفارق روحي جسدي ،اما دينك فهو دين جميل ، لكن وهبت نفسي منذ الصغر لخدمة الكنيسة ورغم اختلاف الأديان فلقد اجتمعت روحينا على الحب والطهارة فالوداع الى الأبد.

المخلصة ماريانا

obeikandl.com

القصة الرابعة:الوصية

_ هل وصل المرسول

_ نعم

_ وما المطلوب منا ؟

_ تصفية الخائن معيوف

_ هل انت متاكد أن الامر بتصفيته موجه لنا،معيوف محمي من طرف الادارة الفرنسية وهو كبير عرشه، لا اظن أن فوجنا المكون من ثلاثة عشر رجل يستطيع تنفيذ هذا الامر ،انها مهمة أكبر من عددنا ومعداتنا

_ هل تعلم ماذا فعل معيوف ، لقد باع اخواننا لقد قتل بسببه خمسة من خيرة قادة الثورة في المنطقة

_ من كان يظن أن معيوف الذي كان يتغنى بحب الجزائر ويتباهى بأنه درس على يد الشيخ عبد الحميد،وأنه أول من حمل السلاح يصبح عميل فرنسا الأخطر على الثورة في المنطقة .

_ لقد تلقينا امر مباشر واضح ونحن ننفذ الأوامر لا نناقشها .

_ لا نستطيع اقتحام بيته فهو يقع وسط بيوت عرشه والثكنة ليست ببعيدة لذلك نستبعد احتمال ان يكون بيته موقعا لتنفيذ العملية.

_ كما نستبعد تنفيذ العملية خارج بيته لأنه معظم الوقت مع الفيلق الفرنسي أو في المعتقل ينتزع اسرار المعتقلين .

_ ما رأيكم لو نصبر حتى ينقضي شهر رمضان ويحل العيد

_ وماذا في العيد؟

_ سوف يقصد الجامع ليصلي صلاة العيد،حيث نختلط وسط الجموع ونتحين الفرصة لقتله

_ اتفقنا اذن ،سأتسلل الليلة الى الدوار لألقي نظرة على ابني

_ كم مضى على ولادته يا فرحات ؟

_ أظن شهر ونصف.

_ وماذا أسميته؟

obeikandi.com

_ محند

_ان شاء الله يكون ختانه والجزائر حرة مستقلة

_ يا رب

(بعد مرور ليلة)

_ لخضر،لخضر

خير ان شاء الله ،ماذا حدث؟

_ فرحات ، فرحات قبض عليه

(في المعتقل)

_ فرحات، يا فرحات،هذا غياب طويل ،خمسة سنوات لم نلتق

_نويت أن التقيك في العيد واهنيئك تهنيئة لم تهنأ بها لا من قبل ولا من بعد،لكن سبقتني كما يسبق السلوقي سيده.

_ فرحات يا صديق الطفولة على الأقل ضع في الاعتبار ما كان بيننا من اخوة ولقمات طعام اكلناها معا...

_ لكنك اخترت طريقا غير الذي اختاره الشعب الجزائري ، الشعب الذي كنت تردد بصوتك : شعب الجزائر مسلم والى العروبة ينتسب ،أم أنك تبرأت من شعب الجزائر ومن اسلامك وعروبتك

_ لا يا فرحات ارجوك ، لا تحدثني عن الشعب ،هل تعرف انت ماذا يريد الشعب ، صدقني الشعب لا يهمه من يحكمه حتى ولو كان يهودي ، المهم ان يتركه يأكل ويتناسل ، متى انتفض الشعب يا فرحات ، انتفض فقط عندما يصل لدرجة لا يستطيع أن يصبر بعدها على الجوع ،خلال مئة سنة ثوراته معدودة إما في فترة جفاف أو أن زعيم قبيلة هددت فرنسا مصالحه الخاصة ،فتنتفض القبيلة كلها بدافع الحمية أو يؤلبها هو باسم الجهاد ضد الكفار...

_ تبارك الله ، يا فرح امك بك ،اصبحت تدافع عن فرنسا وتهين شعبك وتشكك في ثوراته،والله انت اخطر على الثورة من فرنسا.

_ أي ثورة يا فرحات ؟ هل تعلم ان بوقريوة قطع الاخوة انفه لانه ضبط يضع الشمة في فمه،هل تعلم ان بلغيث الوطني لم يكن عميل وانه اعدم بمجرد الشك لأنه رفض أن تتحمل المنطقة عبء الثورة لوحدها،هل تعلم كم جزائري عربي مسلم قتل لأنه رفض أن يدفع الاشتراك للثورة ،ليس لانه غير مؤمن بها بل لانه معدم لا يملك شيء...

_ اعلم يا معيوف أن هناك أخطاء وتجاوزات هنا وهناك ،لكنها فردية والثورة بريئة منها،ما دام توجد حركة فانه يترتب عنها عثرات ،المهم ان لا نهول الامور ونجعل من الحبة قبة.

_ اجعل من الحبة قبة اتعلم ماذا فعل كبلوتي الذي لأجله اصبحت معيوف (القومي)، هل تعلم انه انتهك عرض زوجتي بعد أن ارسلني في مهمة لألقي حتفي ،هل تعلم انه حملني رسالة للاخوة مكتوب فيها حامل الرسالة عميل اذبحوه واوصاني ان الرسالة مهمة اضحي بنفسي لأجل ايصالها مغلقة ،التوى كاحلي ولم اقدر على السير اكمل المهمة عني راعي اثق فيه بعدها بيومين وصلت الى مخبأ الاخوة واستفسرتهم عن الرسالة فاخبروني انها وصلت وقد قاموا بالمطلوب لقد ذبحو حامل الرسالة كما جاء فيها،هل تعلم ان المسكينة لم تستطع ان ترفع بصرها في بصري فقتلت نفسها وأوصتني انها لن تسامحني ان لم أثأر لها...

_ نعم اعلم يا خويا معيوف أن هناك أخطأ لكن الثورة ليست ثورة أفراد بل ثورة شعب .

_ الآن اصبحت اخوك ،وقبل قليل كنت عميل ،يجب ان تسمع الامي حتى تنظر اليّ بعين الرحمة،اتعلم ان معظم التصفيات الجسدية لكثير من قادة الثورة ،فرنسا بريئة منها ، بل قاموا بها رفقاء سلاحهم من أجل مناطق النفوذ وامتيازات اخرى تعرفها جيدا ، يرحل مجرموا فرنسا فيحلون محلهم مجرمون جدد من بني جلدتكم ، أنا عن نفسي لا يؤلمني أن يستعبدني (القاوري) ولا ان يمتص دمي لأنه ببساطة غريب عني لا انتظر منه شفقة ولا رحمة ،لكن أن يحل محله أخي ابن امي وابي الذي من المفروض ان يكون سندي ومددي فتلك المصيبة ،هل يتألم الخروف عندما يأكله الذئب ،يتألم في تلك الساعة فقط لأنها حلاوة روح ثم ينتهي كل شيء لأنه قانون الطبيعة أن يلتهم الذئب الخروف،لكن أن يلتهم الخروف خروف مثله فان ألمه لا ينتهي وتبقى روحه تتألم الى الأبد لأن الخروف لم يفكر يوما أن يغدر به أخوه ويكون وجبة عشاء على مائدته ،لم يضع هذا الاحتمال في الحسبان ومع هذا حدث بيننا ، يا فرحات همنا جاء من دمنا وليس من (البراني).

_ يا معيوف ، اخي ممكن يتطاول عليّ ويضربني لكن لا يقتلني ، ليس كالغريب الذي يهون عليه دمي

_ صدقني لو مت لارتحت ،لاني لم اعرف الراحة وانا حي بسببكم.

_ تعلم جيدا اني صبور على الالم ، لا ابوح بالسر منذ الصغر مهما حدث ، فلا تحاول اللعب على اعصابي ، كف عن محاولات استمالاتي ، فلن تنجح ولن اكشف اسرار الثورة ولو قتلت بدل المرة الف مرة ،انا لست بخائن ولن اكون....

(وقع انفجار كبير ، دمر جزء كبير من المعتقل، قتل فيه جميع المعتقلين،وبعض الجنود الفرنسيين والقايد معيوف)

حملت السلطات الفرنسية الجبهة مسؤولية العملية ، كرد فعل اصدرت الجبهة بيانا تتبرأ فيه من مسؤولية ما حدث واتهمت السلطات الفرنسية بتدبير العملية لأجل تدمير أدلة ادانتها بعمليات التعذيب الوحشية التي تجري في المعتقل خصوصا ان هناك اخبار عن تسريب صور لما يجري داخل المعتقل الى الصحافة الدولية...

الحقيقة بحث عنها محند ابن فرحات مطولا ولم يجد اجابة شافية ، حتى رفقاء ابوه فيهم من تحفظ عن الادلاء برايه في الموضوع وفيهم من تناقضت تصريحاتهم وفيهم حتى من أخبر ذويه قبل ان يموت والكلام لذويه :"ان الاخوة خشوا من ان لا يحتمل فرحات التعذيب فينهار ويبوح بأسرار كفيلة بوأد الثورة في المنطقة والمناطق المجاورة لها ، لذلك كان من المصلحة التضحية بفرد واحد من أجل

الحفاظ على المجموعة."

" ولدي الغالي فرحات ، لقد اسميتك على اسم جدك الشهيد ، الذي لم اعرف حد كتابتي لهاته الأسطر من قتله ، أكتب اليك وانا في فراش الموت بعد ان تمكن مني المرض الخبيث وانتشر في كافة جسمي ولم تنجح معه العملية الجراحية ولا الجلسات الكيميائية ولا الادوية المسكنة للالم ، اكتب اليك لأوصيك ،اذا افرجت فرنسا في يوما ما عن أرشيفنا فابحث عن الاجابة فيه وعندما تجدها اتلوها وانت واقف أمام قبري، حتى ارتاح وانا ميت لأني لم اعرف الراحة وانا حي ."

obeikandl.com

القصة الخامسة: أزهار بلا ربيع

هل هذه حقا هي النهاية؟وكأن الأمر حلم ، لا بل كابوس،كابوس مزعج،مخيف

اذن هكذا ستكون النهاية ، طريح الفراش ، مصاب بمرض خبيث ، لا أمل في الشفاء ،انتظر الموت في أي وقت ربما الليلة أو في الغد،أو بعد اسبوع وكأقصى تقدير شهر

خائف من الموت

لا ادري ،صدقا لا أدري ربما أنا منذهل لم أتخيل أن تكون النهاية بهذا الشكل وفي ربيع العمر وازهاري لم تتفتح بعد

حين كنت أقف مليا أمام المرآة ، أمشط شعري وأوضبه شعرة،شعرة بمثبت الشعر،وأعيد حلق ذقني وابتسامتي لا تفارق شفتاي ، يا ألاهي ما اجملني ، من مثلي في اناقتي وقوامي ورشاقتي ، كلي يقين بهمسهن وانا أمر على مرأى منهن ، اشعر بعيونهن تكاد تلتهمني، ينتظرن اشارة مني فيرتمون في الاحضان وأكون انا الحبيب والرفيق والاخ والاب وكل افراد العائلة ،وتبدأ الحكاية، حكاية حلوة ومغامرة لذيذة

كانت امنية حياتي أن ادخل لعقل امرأة واعرف كيف تفكر، كثيرا ما كنت اتساءل هل يصدقن الأحلام الوردية التي ارسمها لهن ان كنت انا صاحبها لم اهضمها

ما اجمل ان يقع الصياد في وسط قطيع غزلان ساذج ،يهرع اليه بعد سماعه لزئير الأسد يلتمس منه الحماية ، القطيع فرح لرؤية الصياد المسلح بعد سماعه لزمجرة الاسد واقنع نفسه بأنه بان الصياد مبعوث العناية الالهية ليخلصه من انياب الاسد

ربما الغزلان بينها وبين نفسها تعلم ان النتيجة واحدة سواء كان الموقع الأسد أو الصياد، لكنها تفضل تحضر الصياد في القتل على همجية الأسد الذي يمزقها شر تمزيق فتتطاير الدماء وتتناثر الأشلاء

أنا شخصيا افضل الموت برصاصة في الرأس على أن اذبح أو اعذب حتى الموت

ثم ينفجر ضاحكا ويتابع حديثه مع نفسه وهو مازال مستلقي في فراشه ولم يحول ناظريه على سقف الغرفة

ماذا لو كانت الفتيات على علم بخططي ويسايرنني وهن على علم بأكاذيبي ،ان موافقتهن على اقامة علاقة عاطفية معي ليس الغرض منها الزواج فهن على علم بأني طالب جامعي وحتى لو تخرجت فالوظيفة تبعد عني سنوات ضوئية وان فزت بها فراتبها لا يكفي لاقتناء بيت وتأثيثه ودفع مهر وتغطية مصاريف الزواج ... اذن هذا هو قمة الذكاء،تصرفن تصرف الثعلب الذي يعترض طريق الأرنب ولما يراه يبدأ الثعلب في الفزع والخوف ويفر هاربا طالبا النجدة،يندهش الارنب لوهلة ثم يفرح لقد خاف

الثعلب منه ، لم يكن الارنب يعلم انه قوي لدرجة ان يخشاه الثعلب ثم يغتر ويقرر مطاردة الثعلب لتأديبه، الثعلب يجري ويتعثر ويسقط ويقوم وهو في كل حركاته يوحي للأرنب ان الرعب تملكه ليحفزه على مطاردته، ويبتلع الطعم بعد ان يقتحم بيت الثعلب الذي ترك باب بيته مفتوحا قليلا كأنه نسي اغلاقه من شدة الخوف، ليجد الارنب نفسه وسط بيت الثعلب ولا منقض ينقضه بعد ان دخل بقدميه لبيت عدوه وقدم نفسه على طبق من ذهب للثعلب الذي وفر عنه عناء مطاردته

لعنة الله عن الشيطان الرجيم، بدل أن أذكر الله ،احلل شخصية المرأة،آآآه اقتربت الساعة وانشق القمر، لكل واحد منا قمره الخاص به ، فاذا اقتربت ساعته الصغرى والتي هي موته، ينشق قمره ،هذا القمر،لا يرى بالبصر ، بل يشاهده فقط من يملك البصيرة ،أما فاقدها فيضل يردد: سحر مستمر ....

لا ادري من اين جاءني هذا الكلام ولم اطلع حتى على تفسير القرآن، ما شاء الله قبل قليل محلل نفسي والآن مفسر والبارحة شاعر أو شبه شاعر ان كان هذا الكلام يشبه الشعر:

والتقينا وجها لوجه

عينا في عين

قلبا لقلب

وحدث ما لم يكن يحتسب

الغيت الملكية

وأعلن عن قيام

أول جمهورية في الحب

يا حبيبي ربما هي سكرة الموت جعلتني كل هذه الشخصيات: شاعر،محلل،مفسر ثم ماذا ربما منظر واقتصادي وسياسي ثم ماذا ثم ضمة القبر ومنكر ونكير...

لا،لا بل رب غفور رحيم ،يضاعف الحسنات ويعفو عن السيئات

أي حسنات فعلت ،لم تواظب على الصلاة الا بعد ان صارحك الطبيب بحالتك، ولم تقرأ القرآن الا في رمضان وسورة الكهف كل جمعة، صحيح أنك احيانا تستغفر ، لكنك تستغفر بلسانك وقلبك لاه على رأي رابعة العدوية :" استغفارنا يحتاج لاستغفار

مهلا هل هذه محاكمة ، صحيح أني مقصر في الأفعال لكن قلبي ولله الحمد سليمليس فيه غل ولا حقد ولا حسد ولا بغضاء ولا شح ...

لا أعلم أن هناك من قال غير هذا الكلام على قلبه ربما باستثناء الحجّاج، فالانسان مفطور على مدح نفسه فهو كما قال السيد المسيح:" يرى القشة في عين غيره ويعمى على رؤية الخشبة في عينه؟"

الله أكبر وعالم في اللاهوت ايضا

والله ان المتأمل في حالتك ليجزم بأن الطبيب مخطئ في تشخيصه، وانك ستبلغ من العمر ارذله وحين تموت تحشر مع الصدقيين والنبئيين والشهداء ثم الى الفردوس الاعلى اين يكون المأوى

يقطع عنه حبل تفكيره _ ان كان للتفكير حبل_ صوت والدته المفجوع:

ولدي هناك من يريد رؤيتك

لا أريد رؤية أحد،أغلقي الباب واتركيني

ياولدي والله عيب،ناس ظياف جاوا يطلوا عليك

قلت لا اريد رؤية او مكالمة احد و اغلقي الباب واتركيني لوحدي

ربي يهديك ياولدي قالتها وهي تهم بغلق الباب والدمعة تشق سبيلها على الخد ، تخبر من يريد رؤويته بأنه نائم

(مسكين، مايستهلش،راح عمر خسارة...) كلمات تجلدني وهم يحسبون أنفسهم يحسنون صنعا ، لا أريد رؤية من يتصنع الحزن والأسى امامي ثم يخرج ولا يعتبر، اني اشكر الله على المصائب لأني أخذ منها العبر ، لقد اسقط المرض عني قناع العزة بالإثم ، يا ألاهي قتل الانسان ما أكفره، في الاصل كان طين نتن ثم سائل منوي مقزز فكائن حي وسطه دماء وفضلات وبول وأمعاء وعرق ولعاب ثم الموت فيصبح جيفة قذرة تتحلل ليرجع سماد زراعي ممتاز...

دعك من هذه المواعظ البليغة ، فهي عادة تلقى عند الميناء قبل ركوب السفينة ، وسفينتك ابحرت ...

نعم لماذا لم افكر في هذا الأمر من قبل و كتب التحكم في القوى الباطنية والطاقة الكامنة في الجسم و ربما استطيع علاج نفسي فلكل داء دواء.

نعم لكل داء دواء إلا الموت

مرحبا بالموت ، لكن لن انتظره طريح الفراش احسب الدقائق وأعد الساعات حتى يشرفني

مجنون

ربما ،لكن ان مر الربيع بلا ازهار فسأزرع الأزهار في فصل آخر فلكل فصل أزهاره

القصة السابعة: دخان الماء

أبي أرجوك ،أتوسل إليك، قبل أن تغمض عينيك الغمضة الأخيرة وأنت على فراش المرض ، أناشدك بكل ما هو عزيز على قلبك أن تخبرني بالحقيقة، هل نحن حقا كما يتردد بين السنة سكان القرية ...

لماذا يا أبي الصمت القاتل؟ لم تلك النظرات المحيرة ؟ ما هو أصلنا يا أبي ، أصحيح كما يقول سكان القرية ؟؟؟

مضت ثلاثة أيام وزهير يتوسل أباه و لم يملّ من التوسل المتواصل ، ولم يملّ أبوه من السكوت المستمر، لا هذا ملّ ولا ذاك سئم ...

كريمة المتزوجة حديثا في المدينة المجاورة ، عادت ومعها حقائبها ، الكل ظن أن الأمر لا يعدوا أن يكون زيارة قد تطول بسبب مرض الأب الأخير ، لكنها لم تخبرهم بعد بالحقيقة ، موقف نادر لم تقدم عليه امرأة من قبل لا في هذه القرية ولا في ما جاورها ، هذا ما يؤكد الإشاعة المتداولة ، ربما كل امرأة تعود لدار أبيها وهي غاضبة إلا وترتمي في حضن أمها باكية شاكية ...

ربما خشيت على أبيها أن تزيده مرضا على مرض ،فلم تشأ أن تزعجه وتزيد البيت وجعا وألما ، هي تتذكر شأنها شأن أخوها زهير كيف كانوا ولا زالوا يتحاشون الاختلاط بسكان القرية إلا اضطرارا ، إنهم عائلة واحدة فقط في قرية كبيرة مختلطة الأحساب ونسبهم واحد لا شبيه له

إنهم لا يزالوا يستمعوا إلى اليوم همسة تسبقها نظرة مختلسة نحوهما وهما يقطعان الطريق قاصدين المنزل ذهابا أو إيابا...

هذه هي المرة الثالثة التي تفسخ فيها خطوبة زهير من طرف أهل الخطيبة دون تقديم سبب وجيه |،يقابل في الزيارة الأولى بالترحاب خصوصا أن عائلته حالتها المادية حسنة وتتم الموافقة المبدئية ثم يتقصون عن عائلته وعن أخلاقه أو ربما لا يكلفون أنفسهم مشقة التقصي ففاعلو الخير كثر ممن يقدمون إفادتهم دون سؤال ثم يكون الجواب الأوحد :" الله غالب الزواج مكتوب ، وابنتنا لم تكتب لك ، ربي يسهل عليك في دار أخرى ."

لا أحد تجرأ وقدح في أخلاق عائلة زهير فالحق يقال أنهم ذو أخلاق عالية ، ليس فيهم من يشرب الخمر أو يتعاطى المخدرات أو ذات أخدان ، فبيتهم أشرف بكثير من بعض بيوت القرية ، لكن المشكلة دوما في الأصل

هذه المشكلة لم يتجرأ أحد من سكان القرية وان واجه بها أحد أفراد عائلة زهير أو حتى أستوضح منهم

obeikandl.com

أصل الحكاية ،المعلومة موجودة والكل يقسم على صحتها ،لكن ما مصدرها وما هو دليل مصداقيتها...؟

لا أحد أزعج نفسه بالبحث عن دليل يؤكدها أو ينفيها ، لا أحد يريد أن يضع نهاية لهذا الأمر

كل سكان القرية يرغبون أن يبقى هذا الموضوع في الظلام وأن يتغذى بالظلام وأن يعيش طيلة حياته في الظلام ، لا يريدون لهذا الأمر أن يخرج الى النور ، الى الواقع ليمحص وتوضع النقاط على الحروف ، ربما هذا هو السر الصغير الذي يحتفظ سكان القرية به لأنفسهم ولا يريدون أن يخرج خارج حدودها...

أبي أرجوك ، لم تلتزم الصمت ، اني لا أنام الليل وان نمت أرى سكان القرية يطاردونني بالسكاكيين والعصي بالفؤوس والهروات ، يحاصروننا في البيت ويحرقوه. هذا الكابوس أبي ضل يلازمني كل ليلة من يوم شجاري الوحيد ، لقد تغلبت على الفتى وطرحته أرضا بعد أن خدعته والتففت من حوله ، فقال خانقا :"لا عجب أن تستخدم المكر والخديعة فأنت .... "

لقد حسبتها للوهلة الأولى مجرد شتيمة ، فمن كان قاسي القلب أو تعامل بمكر يشبه بهم ،لكن ازداد كلامه وقعا كلما أمر على جمع فأراهم يتغامزون ويتهامسون... أبي أرجوك يا أبي .... أبي....

وفاضت الروح لبارئها وفاض معها الرد الحاسم والجواب الفيصل

بكى زهير بكاء مرير وكأنه لم يبك من قبل قط ، حمل نعش أبوه وصلوا عليه صلاة الجنازة في مسجد القرية بعد صلاة الظهر، لم يعبأ ببعض المصلين الذين انسحبوا من المسجد بعد الصلاة المفروضة حين استفسروا عن الميت، كما لم يعبأ بالعدد الكبير للمشيعين الى المقبرة حتى النسوة رحن يتلصصن من النوافذ والأبواب المفتوحة قليلا

مضى قرابة شهر ، لم ير أحد من أهل زهير ، لم تفتح النوافذ ، طرق زوج كريمة كثيرا باب البيت ، جاء ليرجع زوجته غالى بيتها ، لكن لم يفتح له أحد ، لقد اختفوا جميعا ولا يعرف سكان القرية كيف ولا متى ؟

هناك من أقسم أنه شاهد كريم وعائلته في العاصمة ومنهم من قال أنهم سافروا إلى فرنسا في الطائرة ومنها حجزوا مقاعد في أول طائرة تغادر إلى إسرائيل

oberkanal.com

القصة السابعة: السببية:

كم تمنيت موتك، كم طوقت يدي على رقبتك لأجل خنقك ، ثم ترتجف يداي وتنهمر الدموع من عيناي كأنهما وديان فاضت بالمياه في عز الشتاء

رفضت أن أسميك ، فضلت ألا أطلق عليك اسم رغم أني انتقيت لك اسم منذ سنوات اخترت اسم سعيد حتى تملأ حياتي بالسعادة بقدومك،اخترت لك اسم قبل أن اختار شريك ، يقلب ارضي ويغرس وسط ترابي ثمرة الحب ' يسقيها بالأمان والحنان والرعاية والاهتمام ' فتنمو وتزهر وتورّق وتثمر سعادة تملأ حياتي....

تنفجر ضاحكة وتكمل:

لم أطلب من الدنيا الكثير، لم أطلب سيارة ولا وظيفة ولا حتى اكمال دراستي ، لم اطلب حلي ذهبية ولا حتى نحاسية ، لم أطلب زوج ثري

حلمي بسيط ، جل ما طلبت رجل يحبني ' يكون هو أبي وأمي وأخي وأختي ، رجل قوي أشعر في حضنه بالامان ، رجل يسترني ،هذا ما أردت ، فارس أحلام يخطفني على فرس أبيض بجناحين ويحلق بي الى السماء

ودون سابق انذار هجموا على القرية ، كان ذلك يصادف يوم ولادتي ، في ليلة من ليالي الصيف ، ثلاثون فارس لا يمتون الى اخلاق الفرسان ولو قيد أنملة ، تصور قتلوا كلاب القرية ،أبادوها كلها حتى لا تفضح جبنهم بنباحها

ذبحوا عائلة محمود بأسرها ثلاثة عشر بين رجل وامرأة وعجوز وطفل ، ذبحوا لأن عميمحمود المجاهد يساعد الجيش في تمشيط جبال المنطقة بحكم خبرتهفي مسالكها الجبلية ومعرفة بطبيعة تضاريس المنطقة

كذلك عائلة عمي مسعود ، قتلت شر قتلة لأن ابنه رضوان انخرط في صفوف الحرس البلدي

حتى الشيخ موحاتة امام القرية الذي يحفظ الستين ذبح لانه زوج ابنته لشرطي .... ما أطول تلك الليلة ، ثلاثة ساعات فقط مرت كأنها سنوات ، لقد عاثوا في القرية فسادا ، قتلوا من قتلوا بالرصاص وبالسيوف والخناجر والمطاوي ....

اي فرد ينتسب لأحد اسلاك الأمن فهو طاغوت يهدر دمه ودم جميع عائلته ، لقد نهبوا كل حلي النسوة ، قيل انفاق في سبيل الله وأخذوا عشرة منا احداهن انا ، التي تقاومهن تضرب ضربا مبرحا لكن لا يقتلوها ومن ثارت حميته وتحركت نخوته من رجال القرية واراد الدفاع عن عرضه يذبح ذبح البهائم ،

بقر مولود امام أعيننا ونزعت أحشاؤه ووضعت المتفجرات مكانها وتركوه جثة مفخخة
لم أقاومهم ، لم اصرخ وابكي ، لم اتسولهم وأترجاهم ، نفذت أوامرهم ببرودة ، حتى لما أمروني ان أضع غطاء استر به شعر رأسي بعد اقتحامهم لبيتنا وتفتيشه ، لم اعلق على مطلبهم رغم اني سخرت منه بيني وبين نفسي، يا الاهي طلبوا مني بحزم وبصوت فيه غلظة أن استر شعري وعيونهم كلهم ما فارقت أعلى نهدي البارز منفتحة ثوبي المنزلي ، لم يامرني اي واحد منهم ان اضع قطعة قماش استر بها رقبتي واعلى صدري وبقت عيونهم متسمرة شاخصة في نهدايا المكتنزتين ...
تعاود الكرة وتنفجر مرة ثانية ضاحكة وتقول بأعلى صوت ليحفظ الله صدري سبب نجاتي ،لم اكن املك قوام جميل ولم تتقاطر الانوثة مني يوما ما ، ولم يسل لعاب اي ذئب بشري لرؤيتي ولا حتى ثعلب او كلب أو قط بشري ، حتى الجرذ البشري لم يكن ليطمع فيّ ، ربما لأني نحيفة ولوني المائل للصفرة يوحي أني مصابة بفقر الدم أو اني مصابة بالبرود الجنسي، لكن الحقيقة غير ذلك ، فسلالتي كلها نحيفة ، ما يميز جسدي ان نهدايا لا يتفقان مع تركيبة جسدي فهما العضوان الوحيدان البارزان ، الصارخان لكل من هب ودب بأعلى صوت نحن هنا ، تعالى وألقي نضرة ، انها حقا انثى ونحن اقوى دليل على ذلك...
منذ صغري وانا هكذا حتى قبل بلوغي، كان نهدايا ينافسان نهود النساء الناضجات ، بل اصبح هو الشيء الوحيد الذي أحسد عليه ، اتعلم بما كانوا يلقبوني منذ صغري؟
كانوا يطلقون عليّ لقب المرضعة
بعد رحلة العذاب المحفوفة بكل أنواع المخاطر وصلنا الى الكازما ، القى علينا القاضي الشرعي خطبة موجزة حدثنا فيها بعد ان حمد الله واثنى عليه بأننا جواري وسبايا محظيات أمير الجماعة ، نصره الله وان كل الشرف لنا ان نفقد عذريتنا على يديه لتحل علينا البركة وبغد ان يقضي منا الوطر يهب من يشاء منا للجماعة ، بينما يحتفظ بأربعة فقط كما تقول الشريعة على قول الشيخ عبد الجبار المهاجر ، الذي عرفت فيما بعد انه طرد من صفوف الدراسة في السنة السادسة ابتدائي وانه لم يحفظ من القران الكريم سوى قصار السور وآية الكرسي وخواتيم سورة البقرة وخواتيم سورة آل عمران وأربعة او خمسة احاديث دون سند لا يعرف صحيحها من ضعيفها من موضوعها
كانت اول من دخل بها الأمير زوبيدة ، وهي فتاة في التاسع عشر من عمرها على ما يبدو ، بيضاء البشرة ، شعرها كستنائي طويل وعيناها يميل لونها الى الخضرة مع وجنتين محمرتين وفم صغير بشفتين رقيقتين يعجب بجمالها الرجال والنساء على حد سواء وتتمنى كل حامل ان تلد فتاة في جمال زوبيدة...

أفراد الجماعة يلتهبون من الداخل ، الكل يتمنى أن يحظى بفرصة للنوم مع زوبيدة ، والكل يتملكهم رعب شديد خشية ان يتفرد بها الأمير،بل هناك من خانه لسانه وجهر بالدعاء ان يواقعها مرة واحدة فقط حتى ولو كان ذلك اخر عمل له في الدنيا

الا الشيخ عبد الجبار المهاجر لم أرى في عينيه تلك اللهفة وتلك الحرقة ثم علمت فيما بعد أن ليلته يهبها لأمير الجماعة ، حتى يقوي عزيمته في الجهاد ويحتسب ذلك قربى لله ، لكن أخبرني فاروق ان الشيخ عبد الجبار المهاجر رجل مخنث وأن لذته حين يجامعه رجل في دبره والعياذ بالله

وقد كان الشيخ عبد الجبار المهاجر هو عزاء الجماعة التي تفرغ فيه تذمرها من انفراد الأمير بكل ما لذة وطاب ولأن افراد الجماعة يخشون على حياتهم من اظهار تململهم وامتعاضهم من احتكار الامير فإنهم ينتقمون منه وينفسون على كبتهم الجنسي في القاضي الشرعي للجماعة

صوت طلقة رصاص هزت الكازمة ، لقد ماتت زوبيدة ، قتلها أمير الجماعة لأن غشاء بكارتها لم يمزق ، لقد حاول بكل ما أوتي من قوة ولم يفلح ، لم ين يتعد الامر خمسة دقائق ، لكن زوبيدة ظل معها خمسة ساعات بأكملها ، لم يبق سوى تفسير واحد انها مصفحة ، لقد ألقت عليها امها تعويذة حتى لا تفقد زوبيدة عذريتها الا عند زواجها تفك التعويذة ولان من قام بالسحر فهو كافر فان زوبيدة كافرة وحد الكافر القتل

تنفجر باكية وتقول بصوت خافت ممزوج بالأسى : شكرا لغشاء بكارة زوبيدة الذي أذل جبروت الأمير فقتلها حفاظا على ما تبقى من كرامته التي هدرت على جنبات غشاء بكارة

أخبرتني القابلة التي قامت بتوليدي أن غشاء البكارة يتنوع ومن بين أنواعه الغشاء المطاطي الذي يصعب على ذكر الرجل اختراقه ولا يتم ازالته الا بعملية جراحية، مسكينة زوبيدة ربما غشاؤها مطاطي ، عجيب امر الدنيا غشاء بكارة سبب موت فتاة ونهد ممتلئ سبب نجاة فتاة اخرى

هل تصدق ان الامير لم يضاجعني؟

كنت محظيته حرّم على الجماعة ملامستي، عندما اختلى بي في غرفته التي هي في الاصل حجرة من غار كبير عدل فاصبح يتكون من حجرة متوسطة الحجم توضع فيها المئونة وحجرة كبيرة للجماعة وحجرة خاصة بالأمير وحجرة يقضي فيها افراد الجماعة وطرهم من النساء المختطفات

حينما اختلى بي أول مرة ، تقدم نحوي واللعاب يسيل من عينيه وديان ، جردني من ثيابي بفضاضة ، لم ارتعد ، لم اصرخ ، تسمرت مكاني ، كأني لست معنية بما يحدث ، ربما كنت منذهلة مصدمة او ربما الخوف من الموت لا ادري السبب بالضبط؟

طرحني على فراش بسط ارضا وضع راسه على صدري ونام نوما عميقا كانه لم ينم من قبل

هل تصدق مدة ثلاث سنوات بايامها ولياليها لم يلمسني قط ، يضع راسه على صدري وينام أو يبكي

بصوت خافت كانها مناجاة ، ومرات يتمرغ على صدري ثم يلكزه باصبعه مخاطبا اياه اين الحليب اريد الحليب

لقد هددني لو بحت بما يحدث لأي مخلوق فانه سوف ينتزع ثديي ليتركني انزف حتى الموت

مع الايام زالت الوحشة لقد عاملني كأم له او على الاقل عامل صدري فعاملته كابن لي او لم يكن لي خيار اخر

مع الايام اصبحت اطهو لهم الطعام والجميع يناديني ب(يما) بأمره هو ، فجأة اصبحت أم لمجموعة ارهابية لم تترك منكر لم تفعله من قتل وذبح وتنكيل وسرقة وخطف واغتصاب ولواط ، تفعل ما تفعل وهي على يقين انها تقاتل لأجل اعلاء لا اله الا الله فان ماتت فهي شهيدة وان عاشت فهي مجاهدة وفي كلتا الحالتين منصورة

كان فاروق اصغرهم سنا ربما لم يتجاوز التاسعة عشر ومع ذلك فهو أذكاهم ، لقد آسرته خطب اقامة دولة اسلامية يكون دستورها القران وقانونها سنة الرسول

فاروق الشخص الوحيد الذي سمح له الامير بالاختلاء بي ومساعدتي في جلب الماء ، ربما لأن حجمه ضئيل أو لأنه أمرد أو لأنه لم يمارس الجنس مع اي مختطفة جعل الامير لا يرى فيه تهديد وان جلب له ذلك المتاعب مع اصحابه الذين ينظرون له بعين الرغبة ، ذات يوم عرض عليه احدهم تجاوز الستين بعام علبة سردين منتهية الصلاحية مقابل ممارسة الفحشاء معه ، حينما حاصر الجيش سلسلة الجبال وقطع علينا التموين ، وصل بنا الامر اننا عدنا نقتات على ورق الشجر وبعض الاعشاب التي اجهل اسمها بعد نفاد الغرس (عجين التمر) من مخزن الكازمة

فاروق طاهر القلب ،نقي السريرة ، لم تتلوث يداه بدماء الابرياء ، المرة الوحيدة التي قتل فيها كان حين طلب منه الامير احضار رأس طاغوت كشرط لقبوله في الجماعة ، احظر لهم راس شيخ طاعن في السن ملفوف في كيس بلاستيكي اسود ، اخبرهم بانه مجاهد كبير متواطيء مع قوات الامن مرشدهم في المسالك الجبلية ، لكن الحقيقة كما صارحني بها ان ذلك الراس لحركي خدم فرنسا وكان هم المتسبب بقتل عم فاروق وبعض من اقاربه وبعد الاستقلال بسنوات اصبح مجاهد ثم بطل

لقد اقمت عليه الحد الخائن يقتل ولا تقبل منه توبة لأنه تسبب بقتل غيره ، لقد باع نفسه للشيطان وللنصارى ضد أمة لا اله الا الله

لكن يا فاروق امة لا اله الا الله التي غضبت لأجلها هي التي تقتلها جماعتك ، كما قتلها من قبل النصارى والخونة

يقطع حوارهما صوت ابو الوليد الذي يطلب منه ترك ما في يديه واللحاق به حالا

يجب ان نقوم بعملية من الجهة الغربية في اقصى نقطة حتى نحول انظار واليات الطواغيت الى هناك

ونستطيع فك الحصار علينا ...

بعد يومين يعود ابو الوليد وثلاثة من المجموعة منهم فاروق ، وليتهم لم يعودوا

لقد قتلوا امير الجماعة غيلة بتخطيط من ابي الوليد الذي بويع بالامارة بالاكراه

لم اتخيل في يوم من الايام ان اتمنى من كل اعماق قلبي عدم موت الامير ، تمنيت اني مت قبل موته ، او اني نجحت في الهروب

كنت انا الفتاة الوحيدة في المجموعة بعد ان قتلت من قتلت وفتك المرض بمن فتك ، ماتت فوزية ربما اسمها وهي تضع مولودها ، اما نزيهة فقد قتلت هي وميلود ارهابي جند حديثا وقع في حبها وقررا الفرار معا ، ليكتشف امرهما ويقعا في قبضة ابو الوليد الذي لا تراه مبتسما الا على منظر سفك الدماء

اخبرني فاروق ان ابا الوليد بعد ان قتلوا اربعة دركيين في كمين برشاشاتهم قام بالتهام اكبادهم على مرآى الجميع من يومها دخل الرعب لعناصر المجموعة كلها

هل حدث انك نمت وخالجك كابوس ، انت تعلم انك نائم وانك في وسط كابوس وتحاول ان تستيقظ ، تقاوم بكل قوتك لأجل ان تستيقظ ، حتى تنهي هذا الكابوس لكنك لا تستطيع الاستيقاظ

لقد فضوا بكرتي بهمجية ، دون تقبيل ولا مداعبة ،دون تمهيد ولا تهيئة ، انقضوا مباشرة على بكرتي وتداولوا على مضاجعتي ، لقد ضاجعوني في اسبوعي الاول اكثر من الف مرة ، توقفت عن العد عند الرقم الف ، ولم اعد ابالي بعدها كم مرة اغتصبت ، لم يتوقفوا عن اغتصابي حتى عندما بدأ بطني يكبر، مسألة ايام فقط ويفاجئني المخاض واحتمال كبير ان اموت عند الوضع ، ان لم يتخلصوا مني قبل ذلك ، مع ازدياد قصف المنطقة الجبلية من طرف الجيش

فاروق نفسيته محطمة ، لقد فعل به الامير فعلته ، وسوف تزداد تحطما اكثر اذا مت او ولدت لأنه سوف يكون المفرغة العمومية لشهوة الجماعة ...

لا ادري الحمل هم نفسي ام همّ فاروق ، عن نفسي لم يعد يفرق معي ما يحدث، انها حركات جسدية فقدت الاحساس ، حتى الاحساس بالالم فقدته

لم يعد يفرق معي كم شخص سيتداول علي نسيت أنوثتي وان لم احفل بها يوما ، صحيح كنت لتمنى رؤية رجلا عاريا مفاتنه بارزة ، كنت اتخيل تفاصيل جسده ، لكن اليوم اكتفيت ، هالني ما رأيت ، غابات استوائية ،أطنان من القذارة ، طبقات من الوسخ ، الثياب نعمة لم اكن اعرف قيمتها ، حتى تجردوا امامي تباعا

لولا الخوف من الذبح لطلبت منهم ان يغتصبوني بثيابهم ، اي احساس يبقى لك وكتلة من الشعر ورائحة العرق جاثمة فوقك ينساب منها القمل

اصبحت اغمض عيناي واتنفس من فمي بدلا من انفي حتى لا يغم علي من تلك الرائحة وانا اصدر

تأوهات وآهات توحي بأني استمتع بذلك العذاب ، وكل كلب يمسكني من شعري ويأمرني بالتحديق في عضوه التناسلي ويطلب مني في صيغة التهديد والبعض في توسل هل عضوه مناسب هل هو كافي لإيصالي للنشوة ؟

تنفجر ضاحكة تكمل اصبحت خبيرة في اعضاء الرجال ، لو قصدني اي رجل مصاب بالبرود الجنسي لعالجته من أول جلسة ، لكن من يعالجني أنا؟

ثم تصمت قليلا تنزل دمعة على خدها وتتابع حديثها:

ذات يوم ذهبت انا وفاروق لجلب الماء من الوادي ، قلت تحركات الجماعة ، وبقت معظم الوقت رابضة في الكازما خوفا من الاصطدام بالجيش الذي بدأ في الوصول للمناطق المحاذية للكازما

سمعنا صوت انفجار تلاه صوت مروحية عسكرية ، همس فاروق في اذني وقال ان هذه هي الفرصة الوحيدة للفرار فلن تلحق بنا المجموعة خوفا من الوقوع في مرمى نيران الجيش ان لم تضن اننا قتلنا في الانفجار مسك بيدي ومشينا حتى حلول الظلام التجأنا لغار

غط فاروق في نوم عميق ، اما انا فبقيت مستيقظة ، هذه اول ليلة انام فيها منذ مدة ولا احد يغتصبني او يطلب مني ارواء شهوته بفمي بعد انتفاخ بطني لو كان عندي دواء منوم لنومتهم جميعا ثم قطعت ذكورهم جميعا الا ذكر فاروق ، ذكر فاروق هو الوحيد الذي لم اراه ، لم يغتصبني ولم يكشف لي عن ذكره، ترى هل يملك ذكر ، هل مصاب بالبرود هل هو عنين؟

على كل حال هذه فرصة لا تتكرر للتأكد

رمت بيدها على بطنه في حركة توحي بانها عفوية وهي نائمة ، حينما لم يبد اي رد فعل وتأكدت من نومه تسللت يدها الى اسفل بطنه وقامت بملاعبته ، بعد مدة ابتسمت في خبث وقالت في نفسها انه رجل بل انه فحل ، عندها نامت في هدوء ، حتى ايقضها فاروق مع الفجر ويفاجئها بسؤال لم تفكر فيه من قبل

هل ستحتفظين بمولودك أم ...

لا اعرف ، لم افكر في هذا الامر ولا اريد التفكير فيه ، كنت قبل حين اسمع بامرأة تقتل وليدها الذي نتج عن علاقة خاطئة أو ت ملفوفا ، اتساءل كيف يسمح لها قلبها بهذا ، لكن منذ حملت ولا ادري اي كلب حملت منه ولا يهم فكلهم كلاب ، لم اشعر ان الكائن الذي في بطني والذي يتغذى من دمي جزء مني ، اشعر بأنه غريب عني كأنه ورم خبيث يجب ان يستأصل ....

هل تصدقي لو قلت لك ان البارحة حلمت بك

بي انا ، ماذا حلمت؟

لا،لا اقول استحي منك

ارجوك اخبرني ، انه مجرد حلم

لا اعرف اول مرة منذ بلوغي احلم اني اضاجع امراة وتفاعلت مع الموقف حتى اني حينما استيقظت في الصباح وجدت نفسي قد احتلمت

ربما يكون مجرد حلم وربما ترغب في حقيقة لكنك تستحي

انا، انا... يتلعثم لسانه و يتتأتأه

تباغته بقبلة ' يتفاعل معها لأول وهلة ثم يبتعد عنها بلطف ويقول لها عل تعيديني بشيء؟

في ذهول هزت رأسها مجيبة بنعم

قال لها عديني ان جاء ذكر ان تسميه سيد علي وتغني له اغنية نظمتها منذ مدة على امل حين ارزق بمولود ذكر اسميه سيد علي و اهدهد سريره و انا اغني له:

طائري الصغير شكله جميل

يريد ان يطير لكن ريشه قصير

يا طائري لا تقلق فغدا ستكبر وتحلق

لكن ارجوك ان لا تسرع فالموت دوما اسرع

ثم مسك بيدي قبلني على جبيني ، ضمني لصدره ضمة شعرت عندها بالدفء يسري في صدري لينتقل لكافة جسدي ، تلك هي المرة الاولى التي خفق فيها قلبي ...

وصلنا لمشارف القرية وبدت لنا الاليات العسكرية من بعيد

كان ذلك مع اذان الظهر ، طلب مني فاروق ان امكث في مكاني حتى حلول المغرب وانزل ليتمكن من الرجوع ون ان يتعقبه احد

تشبثت ذراعه باكية، طلبت منه تسليم نفسه للجيش ليستفيد من المصالحة خصوصا انه لم يشارك في مجازرهم ، اجابني : ان شاء الله لكن بعد ان اصفي حسابي مع الامير

من يومها انقطعت اخبار فاروق ولا اعرف عنه شيء

هذه قصتي يا ولدي سيدي علي ، أو هي قصتك ، فضلت ان تسمعها مني مباشرة بآلامها وأوجاعها ووقاحتها ولؤمها على ان تسمعها من غيري

ارجوك لا تعلق ، ليس الان ، الحمد لله لقد وفيت بوعدي لفاروق و اسميتك بالاسم الذي يرغب فيه وغنيت لك اغنيته حتى حفظتها ظهرا عن قلب و اعجبت معلمك فكتبها لزملائك في الصف ونشرها في الجريدة باسمه ثم اعتمدتها وزارة التربية في المقرر الدراسي كأنشودة

لا فائدة يا سيد علي من سيصدق الناس ، المعلم المبجل أم ابن الجبل و امه التي تداول على اغتصابها افراد مجموعة ارهابية ، وحين فرت من جحيمهم وجدت نفسها في جحيم اشد ضراوة منه ، نفس

الكلاب سواء في الجبل او المدينة وان اختلفوا في اللباس والنظافة ، في المدينة الناس قسمان أو قل الكلاب صنفان ، صنف ينظر اليك بنظرة ازدراء واحتقار كأني رجس من عمل الشيطان وصنف ينظر الي اني مدمنة جنس من كثرة الجماع كاني فرج ناطق يردد كالببغاء هل من مزيد

يا سيد علي بعد هروبي من الجبل بسبع سنوات ونصف مازلت سبية ، في الجبل أمير واحد وفي المدينة الكل أمراء

يسعل سيد علي ويخبرها انه يجد صعوبة في التنفس

تطمئنه قائلة:

لا تخف بني ، منذ ولادتك لحد الساعة اول مرة اناديك ببني ، بعد دقائق سنغادر المدينة ، لكن لا نذهب الى مكان آخر فيه أمير ، سوف نتحرر يا ولدي ...

تسقط صريعة هي وسيد علي بعد أن اغلقت البيت بإحكام وفتحت الغاز ، لقد اختنقت وطفلها بالغاز نتيجة لتسرب الغاز الطبيعي كما جاء في التحقيق الأولي للشرطة العلمية.

obeikandl.com